التوقي والاستنزاه
عن خطإ البناني في معنى الإله

لأبي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني

التـــوقـــى والاســـتنـــزاه

عن خطاء البنانى فى معنى الاله

لابـــي الفضـــل

عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، ورضي الله عن آله الاكرمين ، وصحابته والتابعين .

اما بعد : فهذا جزء سميته «التوقي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الاله» وارجو من الله أن يوفقني للصواب ، انه الكريم الوهاب .

فصل

قال صاحب السلم :

فمفهم اشتراك الكلي كأسد وعكسه الجزئي

قال العلامة البناني في شرحه :

يعني أن الكلى هو الذى يفهم الشركة في معناه ، أي لا يمنع نفس تصور معناه من صدقه على متعدد ، كانسان وأسد فدخل في تعريف الكلى أنواع ، فذكر النوع الاول ، ثم قال :

النوع الثاني : ما وجد منه فرد واحد ، أما مع استحالة وجود غيره ، بدليل خارج عن تصوره كالاله أى المعبود بحق فان مجرد تصور معناه ، لا يمنع من تعدد مصدوقه ، لكن قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالالوهية واستحالة ثبوتها لغيره ، وتفسير الاله بالمستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه ، لا يمنع كونه كليا، اذ لا

يوجب تشخصه ، لانه بهذا المعنى يحتمل أن يصدق على كثير ، على سبيل البدلية ، وكذا يقال في مفهوم الواحد ونحوه اهـ .

وقال محشيه العلامة الشيخ على قصارة :

كـان ينبغي اسقـاط هـذا القسـم مـن أقسام الكلـي لانــه موهم في مقام الالوهية ما لا يصـح في حقه تعـالى من التعدد والجسمية والتركيب، فـلا ينبغي اطلاقه، كما صرح به القرافي في شـرح التنقيح، ونصه: اطـلاق لفظ الكلي عـلى واجب الوجود سبحانه، فيه ايهام، تمنع من اطلاقـه الشريعة فلذلـك تركتـه أدبـا اهـ .

قال سيدى عيسى السكتاني : وكذا الجزئي، يوهم النسبـة الى جـزء الشيء الموضوع للمجـموع ، فلـذلك يستحيل في حقـــه تعـالى اهـ .

يعلم من هذا أن اطلاق لفظ الكلي على الاله ، لا يجوز شرعا للايهام المذكور ، ولان فيه اساءة ادب .

وهذا أول خطأ من البناني رحمه الله تعـالى .

الثاني ــ ويشاركه فيه القرافي ومعظم أهل المنطق : أن الاله ليـس بكلي ، بل هو خـاص بالله تعـالى مثـل الرحمن ، وفي الناس كثيرون اسمهم عبد الاله .

واطلاقه عـلى معبودات المشركين ، لا يجعلـه كليا ، لانـه ليس باطلاق حقيقي .

قال الفيومي فـي المصباح المنيـر : الاله المعبود ، وهـو الله سبحانـه وتعالى ثم استعاره المشـركون لما عبـدوه مـن دون

الله تعالى اه .

وقال الراغب في مفردات القرآن : والله حقه ألا يجمع اذ لا معبود سواه ، لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات ، جمعوه فقالوا : الآلهة اه

وفي القرآن الكريم (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وهذه الآية من أدلة القائلين بأن اللغة توقيفية .

تبين من هذا أن الاله علم خاص ، كما قلنا ، وأنه لتضمنه معنى العبادة ، أطلقه العرب على معبوداتهم على سبيل الاستعارة ، وتوهم أهل المنطق أن هذا اطلاق حقيقي ، فزعموه كليا ، مع أنه علم خاص .

ونظير هذا اطلاقهم لفظ حاتم على الكريم ، اشتقاقا من معنى الكرم الذى كان صفة حاتم الطائي المعروف ، ولم يخرجه ذلك الاطلاق عن علميته الشخصية .

كذلك لفظ الاله لا يخرجه اطلاقه على المعبودات ، اشتقاقا من معنى العبادة عن علميته الخاصة بالله تعالى :

الثالث : أن الكلى ، انما يتأتى في الممكنات ، كالنبي والملك والعرش والكرسي واللوح والقلم والسماء والشمس والقمر والفلك والكوكب والروح والنفس والانسان والحيوان والنبات . وما الى ذلك مما يتركب من أجناس وفصول ويدخل في دائرة المقولات العشر المجموعة في قول القائل .

زيد الطويل الابيض ابن مالك ببيته بالامس كان متكي
بيده غصن لواه فالتوى فهذه عشر مقولات سوا

أما واجب الوجود سبحانه ، فهو منزه عن ذلك كله ، ليس شيء من اسمائه وصفاته كليا يتركب من جنس يشترك به مع غيره ، ولا من فصل يميزه عنه : بل هي خاصة به كخصوص العلم الشخصي بمسماه .

الرابع : أن الكلى ، لا يتصور كونه محالا ، اذ هو ما له جزئيات موجودة كالحيوان او ممكنة الوجود كجبل ياقوت .

والمستحيل عدم محض ، ليست له صورة في الذهن ، ولا يمكن أن تكون له صورة ، ولا يدرك إلا بطريق التشبيه كان يمثل اجتماع السود والحلاوة في العنب مثلا ثم يقال مثل هذا الاجتماع لا يكون بين السواد والبياض ، فكيف يتصور كونه كليا له جزئيات !!؟

والذين اعتبروا الاله وشريك البارى كليين ، مخطئون لم يعرفوا معنى المحال على حقيقته . أو اشتبه عليهم الامر ، حين وجدوا كليا جزئياته معدومة ، كجبل ياقوت وبحر زئبق ، فاعتبروا المحال كليا مثله ، لكن بينهما بون شاسع ، لان الممكن المعدوم ، قابل للوجود ، وقد أخبر الله أن في الجنة أنهارا من لبن لم يتغير طعمه ، وانهارا من خمر لذة للشاربين وأنهارا من عسل مصفى ، وهذه امور ممكنة غير موجودة في الدنيا ، وهي موجودة في الآخرة . بخلاف المحال ، فانه مغرق في

العدم ، لا يقبل الوجود أبدا بحال ، لا في الخارج ولا في الذهن ، ووجود جزئيات الكلى ، مترتب على وجود صورة له في الذهن والمحال لا صورة له ، ولايذكر الا منفيا والخلاصة: ان الكلى لا يكون الا في الممكنات فقط دون المحال ، وواجب الوجود .

الخامس : أن قول البناني في بيان كلية الاله : مجرد تصور معناه لا يمنع من تعدد مصدوقه ، لكن قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالالوهية، يشتمل على تهافت وتناقض اذ حاصله : أن الاله مصدوقه متعدد عقلا .

والاله مصدوقه واجب الانفراد في واحد عقلا .

وهذا تناقض واضح لا خفاء فيه .

السادس وهو مبني على ما قبله ، أن جواز تعدد الاله قائم ثابت ، وأن قيام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله بالالوهية ، لا يمنع منه ،لان ما بالذات لا يتبدل، وفي هذا من الخطر مالا يخفى ، بل هو هدم للتوحيد من أصله .

السابع : أن زيادته لفظ «بحق» في معنى الإله ، لا أصل لها في اللغة ، ولا علاقة للعقل بها ، فالاله هو المعبود ، وكونه معبودا بحق ، حكم شرعي ، والاحكام لا تدخل في الحدود ، قال صاحب السلم :

وعندهم من جملة المردود ان تدخل الاحكام في الحدود

الثامن : قول البناني : تفسير الاله بالمستغنى عن كل ما

سـواه المفتقر اليه كـل ما عـداه ، لا يمنـع كونه كـليا ؛ اذ لا يوجب تشخصه، لانه بهـذا المعنـى يحتمل أن يصـدق على كثير على سبيل البدلية اهـ .

المراق في الخطـاء ، وتشبث بـه الى حد انتزمت واتعصب حتى انه لـم يفرق بين ما يعين المسمى ويخصصـه ، وبين مـا ليس كذلك .

ومن البدهيات فـي علم المنطق : أن التشخص في الجزئـي يمنع الاشتراك فيه، فانسـان كلي يقبل الاشتـراك ، وزيـد جزئي لا يقبل الاشتراك لتشخصه وتعينه .

ولو فرضنـا أن الاله بمعنى المعبود كلي ، لشموله لمعبـودات فـان تفسيـره بالمستغنى عن كل ما سـواه المفتقر اليه كـل ما عداه، تخصيص لـه بما لا يشاركه فيه غيره ، فهو بمنزلـة التشخـص فـي زيـد .

ذلك أن المعـبودات بجميـع أنواعها لا تستغني عـن المحـل والمخصص ، وهي مفتـقرة الى ما يملكها ، بل الممكنات كلـها مفتقرة غير مستغنية . ثـم أن اللفظ الذى يصدق على كثيـر على سبيـل البدليـة ، ليس بكلـي ، بل هـو نكرة فى سيـاق الاثبات ، كرجـل ورقبة ودرهم ويسميه أهل الاصول مطلقـا وكلامنا في الاله العلم ، ولا تتاتي فيه البدلية أبدا بحـال . لانه علم خاص بالله كما بينا ، وهو الذي لا يجوز غيره . وان كان كليا على القول الضعيف الساقط ، فيعم المعبودات عموما شموليا . فظهر بطلان كلام البناني ، على جميع الاحتمالات ،

ثم ان قولـه : اذ لا يوجب تشخصه ، خطأ تاسع ، والصـواب أن يقـول : اذ لا يوجب تعينـه . لان التشخـص لا يجـوز أن يضاف الى الله تعالى ،

ايرادات والجواب عنها

الاول

دعوى ان المحال ليس بكلي، تخالف ما أطبق عليه اهل المنطق من اعتبار شريك البارى كليا وكذلك الاله ، وان لم يذكـروه تأدبا ، كما مر وتعريف المحال ، يقتضي كليته .

والجـواب عليـه :

مسائـل المنطق ، لا يحتـج فيـهـا بالاجماع ، ولا بقـول الاكثر ، وانما العبرة فيها بما يقضي بـه العقل ، والفكـر السليـم ،

وبنـاء عليه نقول : لا يخـفى أن الكلـيات ، مبـادىء التصورات التي هي حدود ورسوم ، لماهيات الموجودات الممكنة ،

فالحدود والرسوم ، تتركب من أجناس وفصول وخـواص ، كما هو معلـوم . والموجـودات نوعان : موجودات بالفعـل ، كالحيـوان والانسان ، وموجـودات بالقـوة ، كنهر لبـن ، وبحر زئبق ، وجبل ياقوت ، فان هذه الاشياء ممكنة الوجود وامكان الشـيء كوقوعه ، فهي موجودة بالقوة ،

والكليات التي تدخل فى التعريف ، تقع على أشياء موجودة في الذهن أو فى الخارج ، كالانسان والحيوان مثلا ،

والمحال : لا يتصور في العقل وجوده ، ويسميه الحكماء منفيا ، والعقل لا يمكنه أن يتصور اجتماع السواد والبياض في ثوب واحد ، أو شخص واحد ، وبالضرورة لا يمكن تصور أفراد لما لا يمكن تصوره في نفسه ،

فثبت أن المحال لا يكون كليا ،

الثاني

قال الشيخ سعيد قدوره ، في بيان أفراد الكلي الممتنع :

فان الجمع بين البياض والسواد ، جمع بين الضدين ، والجمع بين القيام والقعود، جمع بين الضدين والجمع بين الترقي والتدلي ، جمع بين الضدين فتبين ان اجمع بين الضدين واقع على كثيرين ، وافراده كلها ممتنعة الوجود في الخارج اه .

والجواب عليه : أن هذا الكلام ، يشتمل على أوهام :

1 ـ ن الجمع بين الضدين ، مثال لمحاولة فعل المحال الذى هو اجتماع الضدين .

2 ـ أن أفراد المحال ليس لها وجود في الخارج ولا في الذهن .

3 ـ أن أفراد الكلى ، ما يتحقق فيها مفهومه ومعناه ، كالحيوان فان أنواعه من الانسان والفرس والبقر والابل يتحقق فيها معنى الحيوانية ، أى جسم نام حساس متحرك بالارادة ، وكذلك الانسان بالنسبة الى أفراده .

وهذا انما يتأتى في الماهيات الممكنة التي يتمايز أفرادها

بالتشخص في الوجود الذهني ، أو الخارجي .

وماهية المحال ، عدم بحت ، لا تقبل الوجود في الخارج ولا في الذهن ، والعدم لا تمايز فيه بين المعلومات .

والمحال ليس بشيء ، ولا يسمى شيئا ، والكلي انما يطلق على شيء موجود بالفعل أو بالقوة .

وتعدد الافراد ، في الامثلة التي ذكرها الشيخ سعيد . انما هي أمثلة لمتعلق المحال أعني الضدين ، فانه لفظ عام ، يشمل الابيض والاسود والقيام والقعود والترقي والتدلي والليل والنهار ، وغير ذلك من الاضداد الموجودة ، فالتعدد وقع فيها ، لا في المحال الذى هو سلب اجتماعها ، وقد اشتبه الامر على الشيخ سعيد رحمه الله تعالى ، ألا ترى انك لو ذكرت محالا ، لا يتعلق بعدم شيء ، فانك لا تجد له أفرادا أبدا ، وذلك مثل شريك البارى تعالى .

وتأمل هذا ، فانه دقيق .

4 ـ قوله : وأفراده كلها ممتنعة الوجود في الخارج ، يقتضي ان افراد المحال موجودة في الذهن وهو خطأ محض ، بل هي ممتنعة الوجود فيهما .

الثالث

دخول النفي العام على اله في قولنا : لا اله الا الله، يؤيد القول بكليته ، لانه لا يجوز أن يقال : لا زيد في الدار ، وانما يقال : لا انسان في الدار .

والجواب عليه : أن النفي توجه باعتبار الاطلاق المجازي

أى لا معبود الا الله .

وهذا كما يقال : لا حاتم الا فلان ، أى لا كريم، أو لا قس الا فلان اى لا فصيح ، وهكذا ،
فالكلمة المشرفة ، تنفي الالوهية عن معبودات المشركين الذين أطلقوا عليها اسم الاله ، مجازا اشتقاقا من معنى العبادة الخاصة بالله تعالى : فاله في الكلمة المشرفة ، كلي في المعنى المجازى ، كما أن لفظ حاتم كلى ، لاستعماله في الكريم مجازا ، وهو في الحقيقة علم شخصي ،

الرابع

اختار السنوسي : أن معنى اله ، في كلمة التوحيد : لا مستغنيا عن كل ما سواه ومفتقرا اليه كل ما عداه الا الله. فهو

على هذا كلي ، خلاف ما سبق من أنه خاص بالله، لا يشاركه فيه غيره ، وأنه بمنزلة التشخص في زيد .

والجواب عليه : أن ما سبق ، هو الحق ، وما سواه باطل وما اختاره السنوسي ، هو الذى غر البناني ، وأوقعه فى ذلك الخطأ الفاحش الذى مر بيانه .

والسنوسي انما اختار هذا المعنى ، ليجعل كلمة التوحيد شاملة للصفات الواجبة لله تعالى ، لكن ما اختاره غير صحيح لامور :

1 ـ انه تكلف في ادخال تلك الصفات ، بما لا دليل عليه ، ولا حاجة تدعو اليه .

2 ـ انه لزم عليه جعل ذلك المعنى كليا ، وهو بمثابة

جعل العلم الشخصي كليا ، وذلك باطل بالضرورة ،

3 ـ أن الاله لم تستعمله العرب الا بمعنى المعبود ، وكذلك جاء في ا قرآن (انهم كانوا اذا قيل لهم لا الـه الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون .، ، وهو الذى في السماء اله وفي الارض الـه ... والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفي ... أجعل الآنهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ... وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فالاله في هذه الآيات وغيرها ، مفردا ومجموعا ومثنى معناه المعبود .

ونفى المعبودات ، في الكلمة المشرفة ، كاف في اثبات التوحيد ونبذ الشرك ، ولذلك جعلها الشارع دليلا على الاسلام ، وعنوانا له لانه يلزم بالضرورة من نفي المعبودات نفي خصائص الالوهية عنها فلا حاجة الى زيادة ما تكلفه السنوسي وغيره ، فى شرح الكلمة المشرفة ، وهذا آخر ما رأيت كتابته في هذا الموضوع الذى لم يتنبه له أحد فيما علمت ، والحمد لله على توفيقه والهامه، واساله القبول بفضله والداعي الى تحرير هذا البحث : أني درست للطلبة بزاويتنا الصديقية شرح بناني على السلم ،ولما وصلت الى هذا الموضع ، وبينت لهم خطأ ما قرره بناني كغيره من المنطقيين ، طلب من بعضهم كتابة ذلك البحث ،

فاجبت طلبهم ، لما فيه من عمــوم الفائدة ، وكان أنس رضـي الله عنــه يقول لبنيه : يــا بني قيدوا العلــم بالكتابة ، أمــا مسألة تعلــق القــدرة بالمحــال ، فلي فيهــا رسالة اسمهــا : رفع الاشكال عن مسألــة المحال ، أتيت فيها بما لم يسبقنــى اليه أحد والحمد لله .

* تتمة : علــم مما حــررناه : أن الكــلي والــجزئــي ، لا يكونان الا ممكنين ، أمــا واجب الوجود والمحال ، فلا شــيء منهما يكون كليا لما مر بيانه بتفصيل ،

للمـــؤلـــف

جـــزء قــرط الاذنيـــن بخبــر
تعييـــن ذى القــرنيـــن